نافذة الصباح

# مِنْ كُتُبِ الْوِلَايَةِ الْقُرْآنِيَّةِ

# كتاب ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾

# لِلْبَاحِثِ غُلَامْ رِضَا صَادِقِي فَرْد

# قِرَاءَةٌ وَتَوْصِيفٌ

الأستاذ حسين علي السعداوي

*One of the Quranic Custodianship books {*

*then let us sincerely invoke/ ثُـــمَّ نَبْتَهِلْ} by Researcher. Ghulam-Reza Sadiq Fard*

*A Descriptive Reading*

*Mr. Hussain Ali al-Sa'dawi*

*hosssin267@gmail.com*

# التعريف بكتاب (ثم نبتهل)

الكتاب الذي بين أيدينا هو الكتاب العاشر ضمن سلسلة (الصادقين) لمؤلفه غلام رضا صادقي فرد، وهو عبارة عن دراسة تحليلية لآية الابتهال أتيح فيها المؤلف أسلوب الاقتباس في التأليف كما في بقية السلاسل التي ألّفها، ومنها (ليلة المبيت)، و(اللهم وال من والاه)، و(الصراط المستقيم).

وهذا الأسلوب - الاقتباس في التأليف - عبارة عن أخذ المعاني واقتباسها من أحاديث المعصومين وصياغتها والتعبير عنها بالألفاظ والكلمات التي يختارها المؤلف مع بقاء جميع المباحث الاستدلالية في هذا الكتاب مستندة إلى تلك الأحاديث غالبًا.

## أسلوب الدراسة التحليلية التي اعتمدها المؤلف في كتابه هذا

وقد استندت هذه الدراسة التحليلية إلى آية الابتهال على مبنى تغيري مهم عبّر عنه المؤلف بـ(التناظر أو التآزر التعريفي) حيث استخدم هذا المبنى في كتابه هذا وفي سلسلاته الأخرى كسلسلة (الصادقين) وسلسلة (الصراط المستقيم) ولأجل معرفة هذا المبنى أو الأسلوب في تحليل النصوص لابد من الوقوف على شرح موجز في ذلك لكي يتّضح الاصطلاح للقارئ أو الباحث.

## ما هو التناظر أو (التآزر التعريفي):

يوجد كثير من المواضيع المختلفة في القرآن الكريم، وأهمّها موضوع الولاية والإمامة، وقد تناولت الآيات القرآنية هذين الموضوعين بأسلوبين:

الأول: أسلوب التصريح الجلي.

الثاني: أسلوب الإشارة وعدم التصريح.

عند متابعة الباحث لهذين الموضوعين يجد ترابطًا وثيقًا بين آيات التصريح وآيات الإشارة.

إذ يتفاجأ الباحث من شدّة ترابط هذه الآيات ودعمها لبعضها الآخر، إمّا إجمالًا وتفصيلًا أو إبهامًا وتبيينًا، وغيرها من وسائل الارتباط التعريفي ما بين هذه الآيات.

وفي المحصّلة ولأجل الوقوف على معنى الآيات في أحد الأسلوبين يجب علينا الوقوف على مفاهيم ومعاني الأسلوب الآخر من الآيات القرآنية التي ذكرت ذاك الموضوع حتى يخرج الباحث أو المفسر حصيلة كاملة ومعلومات تامة من هذا الموضوع.

فمن خصائص هذه الروابط والتي تعد الأكثر شيوعًا وانتشارًا في طيات الآيات القرآنية هو الإحكام وتأثيرها على إحكام العقائد الدينية إذ أنّها روابط تعريفية، فقد بيّن المبهم أو تفصل المجمل أو ترفع التشابه فتكون بذلك قد أحكمت المعاني والمفاهيم في هذه المواضيع القرآنية.

وبعبارة أخرى فإن التناظر (التآزر) التعريفي يعمل عمل المرآة التي تقابل المرآة الأخرى بالتوازي فالمرآة الأخرى تعكس ما موجود في المرآة الأولى وهكذا هو التناظر أو (التقابل) التعريفي بين الآيات القرآنية.

وبالطبع فإنّه لا حدّ ولا نهاية لهذه الروابط التناظرية بين الآيات القرآنية ولا انقطاع لها.

وهذه الطريقة فعّالة جدًا في تحليل النصوص القرآنية وهي من الطرق المنتقاة من أحاديث الأئمة عليهم السلام وتعليماتهم كما ورد عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «**يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنا أنزلناه تُفْلَجُوا، فوالله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإنها لسيدة دينكم، وإنها لغاية علمنا، يا معشر الشيعة خاصموا بـ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[1] فإنها لولاة الأمر خاصة بعد رسول**

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٤.

**الله ﷺ، يا معشر الشيعة يقول الله تبارك وتعالى:** ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1]»[2].

إلى آخر الحديث.

وما يتبنّاه المؤلّف من بمنى تفسيري لتحليل النصوص القرآنية قد عبّر عنه باتباع الأشباه والنظائر القرآنية حيث كان الرائد في هذا المجال بعد الأئمة عليهم السلام هو زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام فقد وردت نصوص توثق أنّه له تطبيقات على هذا الأسلوب التفسيرية للآيات وكذلك نجد أنّ بعض علماء الشيعة قد توقّفوا في البت بهذا الأسلوب كما ينقل عن الشيخ الصدوق في معاني أخبار الرضا عليه السلام تفسيره لضرب الكتاب بعضه ببعض.

## عودة إلى ما ورد في الكتاب

انطلاقًا من هذا الحديث نستطيع حل جميع المشاكل التفسيرية المتعلقة بأمر الإمامة والولاية ضمن الآيات في سورة القدر و(الآيتان في أوائل سورة الدخان) باستخدام التناظر التعريفي وبذلك نستطيع الوقوف على تفاصيل وبيانات مبهمات كثيرة في موضوع الإمامة والولاية.

كما ونستطيع الوقوف على الفهم الخاص لآيات سورة القدر بالتناظر مع أوائل آيات سورة الدخان وكذلك تفاصيل آيات الدخان.

## أسلوب التمسك بالأصل اللغوي للألفاظ المذكورة في كتاب الله الكريم

عندما تناول المؤلّف في كتابه (كلمة نبتهل) قد سعى جاهدًا أن يردّها إلى أصلها اللغوي حيث فرق بين كلمة (نبتهل) وكلمة (مباهلة) وفرّق بين الجذور اللغوية ثمّ

(١) سورة الدخان، الآيات: ١-٣.

(٢) الكافي الشريف، ثقة الإسلام الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٩هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري، الشيخ محمد الآخوندي، نشر دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م، طهران، إيران: ١/ ٢٤٩، ح٦.

سعى إلى عدم المساواة بين مفهوم المباهلة ومفهوم الملاعنة الذي اعتمده المفسّرون بوصفه مفهومًا اصطلاحيًّا للفظة المباهلة.

فقال: قد يكون تبديل مفهوم الابتهال أو مساواته مع مفهوم المباهلة ممكنا ويمكن كذلك الاستدلال عليه من خلال الوقوف على عدة أمثلة قرآنية في ذلك الشأن أمّا السائد في الأعراف التفسيرية من تساوي مفهوم المباهلة مع مفهوم الملاعنة فذلك مما لا يمكن السكوت عنه مطلقًا.

فالابتهال يعني شدّة التضرع والدعاء والطلب مع إلحاح وإصرار شديد وهو فعل أحادي لا طرف ثانٍ فيه وأمّا عند تحويل الابتهال إلى مفهوم المباهلة فذلك يعني وجود طرف ثانٍ متضرّع بشدة كما في التعابير القرآنية وهذا يعتمد على حقيقة استعداد الطرف المجادل لنبي الرحمةﷺ للذهاب والابتهال إلى الله تعالى؟!

أمّا عند تحويل مفهوم المباهلة إلى مفهوم الملاعنة فاللازم منه الدعوى بأنّ الله تعالى قد دعا المشركين والكفار إلى لعنة النبي وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين ونعوذ بالله من هذا التفسير.

وعلى أيّ حال فإنّا قد حاولنا جاهدين الابتعاد عن اعتماد مفهوم البلاغة كما ولمفهوم المباهلة واستخدمنا لشرح المباهلة مفهوم الابتهال وإن كان هذا الاستخدام غير مألوفٍ في الوسط التفسيري.

وممن اعتمد هذا الأسلوب في بعض جزئياته التفسيرية هم الأئمةعليهم السلام حينما أرجعوا لفظ اليد إلى الأصل اللغوي وهو القدرة فتم بذلك حل إشكال لغوي خطير وتفسيري وهو القول بالتشبيه.

## المبحث التاريخي في نزول الآية وزمان وقوع الحادثة (الابتهال)

ذهب الكاتب من خلال بحثه التاريخي ومن خلال بحثه اللغوي إلى القول بأنّ

المباهلة لم تحصل في حياة النبيﷺ من خلال الاعتماد على ما موجود في هذه الآية من تعبيرات خاصة وما يليها من آيات.

فقد ذكر: أنّ آية الابتهال جملة شرطية موجهة إلى شخص النبيﷺ فقد تم تكليفه فيها بدعوة المجادلين بعد بيان الحق له وتوضيحه وفي حال عدم رضوخهم فلا حق لأحد منهم بدعوة النبيﷺ للجدال ولا رخصة كذلك للنبيﷺ في جدال أي منهم.

ومما يظهر من هذه الآية ومن سيرة النبي صلى الهل عليه وآله أن هذه الحادثة لم تقع في زمان حياته لأنّهﷺ قد شرح هذا الأمر المكلف ببيانه وبينه ووضحه بصورة صريحة وبالإشارة وبالقول والعمل كذلك إذ لم يدع لأحد فرصة للتلاعب في هذا الأمر المراد تبليغه.

ومن خلال التعريف وحسب المنهج التفسيري المتّبع يتبين أنّ نزول هذه الآية لها فارق زماني كبير مع وقف حدوث واقعة الابتهال بل تجد أن هذه الآية تلخص حياة النبيﷺ وتسجل جميع التحركات والمخططات التي كانت تحيط به وبأهل بيتهعليهم السلام والتي كانت تصب للقضاء عليه والقضاء على الدين الإلهي كما يظهر أيضًا مفتعلي هذه التحركات أنهم كانوا ممن يتظاهرون بالإسلام وإن كانوا قد نزعوا لباسه لاحقًا.

وهذه الآية كذلك تلخّص جميع الاعتقادات إذ فهمت بالأسلوب الذي نتبناه لا كالفهم الكلاسيكي لبقية الآيات والسائد بين المفسّرين.

كذلك فإنّ الآية تحيط بجميع مواضيع آيات الإمامة والولاية وتناظر كل واحدة منها بالتناظر التعريفي وتبيّن وتشرح كل واحدة منها بأسلوب وافٍ لبيان النبيﷺ فيها وبصورة كاملة.

كذلك لها فائدة أخرى إضافة إلى ما تقدّم، فمن خلالها نستطيع تعريف الصادقين بأنّهم المطهرون وتعرفهم بأنهم أهل البيتعليهم السلام وأنهم الصراط المستقيم وأنهم المنعم

عليهم وأنهم محور الاعتصام وأنهم حبل الله وأنهم القرى وذوي القربى وأنّهم أجر الرسالة وأنهم الموالى للكل وأنهم أئمة الهدى في كتاب الله العزيز.

## الإشارات في قصة الابتهال وآية المباهلة

قد تختلف طرق التضحية والاستعدادات الشخصية فيها فبعضهم يضحي بنفسه وبعضهم يقدّم الاستعداد لذلك وبعضهم قد يبادر بشكل مبالغ فيه في التضحية في سبيل التوحيد والنبوة والإمامة وفي سبيل الإبقاء على جميع المعتقدات الدينية.

فآية الابتهال تعرّفنا بعائلة إلهية فريدة من نوعها إذ أنّ هذه الأسرة تشترك في الأرواح وان اختلفت في الأجساد، وتعرّفنا على أسرة صالحة هي القدوة للمؤمنين والمؤمنات، ونعرف مقدار التضحية الكبيرة لهذه الأسرة المتمثّلة بالخمسة الذين هم في أعلى درجات الوجود، منهم النبي الأكرم ﷺ الذي يمثّل ذروة الخلق أجمعين وأعزّ العباد على الله تعالى، إذ أنّه ندب معه أعزّ العباد على قلبه للمشاركة في هذه الواقعة، وهذا يُشير إلى حقيقة خطيرة ومهمّة ألا وهي مقدار استعداد خليفة رسول الله ﷺ للتضحية في سبيل إبقاء الدين الإلهي وإقامة تعليماته.

كذلك من خلال هذه الآية نستطيع الوقوف على الرابط الموجود بين هؤلاء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتفصيل علاقتهم باعتماد الأساليب التي ذكرت في الكتاب.

هذه الخطوط العامة الموجودة في هذا الكتاب وللوقوف على مواضيعه نورد فهرس محتويات الكتاب بصورة إجمالية.

فالكتاب عبارة عن: المقدمة، الفصل الأول: الوقوف عند آية الابتهال، الفصل الثاني: كلمات آية الابتهال والجذور اللغوية، الفصل الثالث: بحث في احتجاجات النبي ﷺ وابتهاله، الفصل الرابع: بحث في زمان وقوع الابتهال، الفصل الخامس: بحث في مكان وقوع الابتهال والتحضيرات التي جرت، الفصل السادس: الربط بين حديث

الكساء وواقعة الابتهال، الفصل السابع: الإيمان والإقرار والميثاق في آية الابتهال وعلاقته بواقعة المباهلة، الفصل الثامن: التضحية بالنفس في الابتهال، الفصل التاسع: اللهم إن كان هذا هو الق من عندك، الفصل العاشر: شأن النزول والورقة الخاسرة، الفصل الحادي عشر: المباهلة لتثبيت حق الغدير المبين، الفصل الثاني عشر: الترابط بين احتجاج الابتهال واحتجاج الغدير، الفصل الثالث عشر: المباحث التحليلية لآية الابتهال، الفصل الرابع عشر: احتجاجات اليهود ومناظرتهم النبيﷺ بعد غزوة خير وتبوك، الفصل الخامس عشر: المقابلة إعلان استخلاف أمير المؤمنينعليه السلام قبل الغدير، الفصل السادس عشر: استخلاف أمير المؤمنينعليه السلام في حجة الوداع في غدير خم، الفصل السابع عشر: المواجهة مع استخلاف أمير المؤمنينعليه السلام ما بعد غدير خم، الفصل الثامن عشر: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، فنجعل لعنة على الظالمين، الفصل التاسع عشر: الابتهال يعني دعوة منكري الغدير لطلب العذاب، الفصل العشرون: الابتهال الغديري الذي تلى غدير خم، الفصل الواحد والعشرون: التناظر التعريفي بين آيات الولاية وآيات الابتهال، الفصل الثاني والعشرون: التناظر التعريفي بين آية الابتهال وآية المودة، الفصل الثالث والعشرون: سورة الكوثر في آية الابتهال.